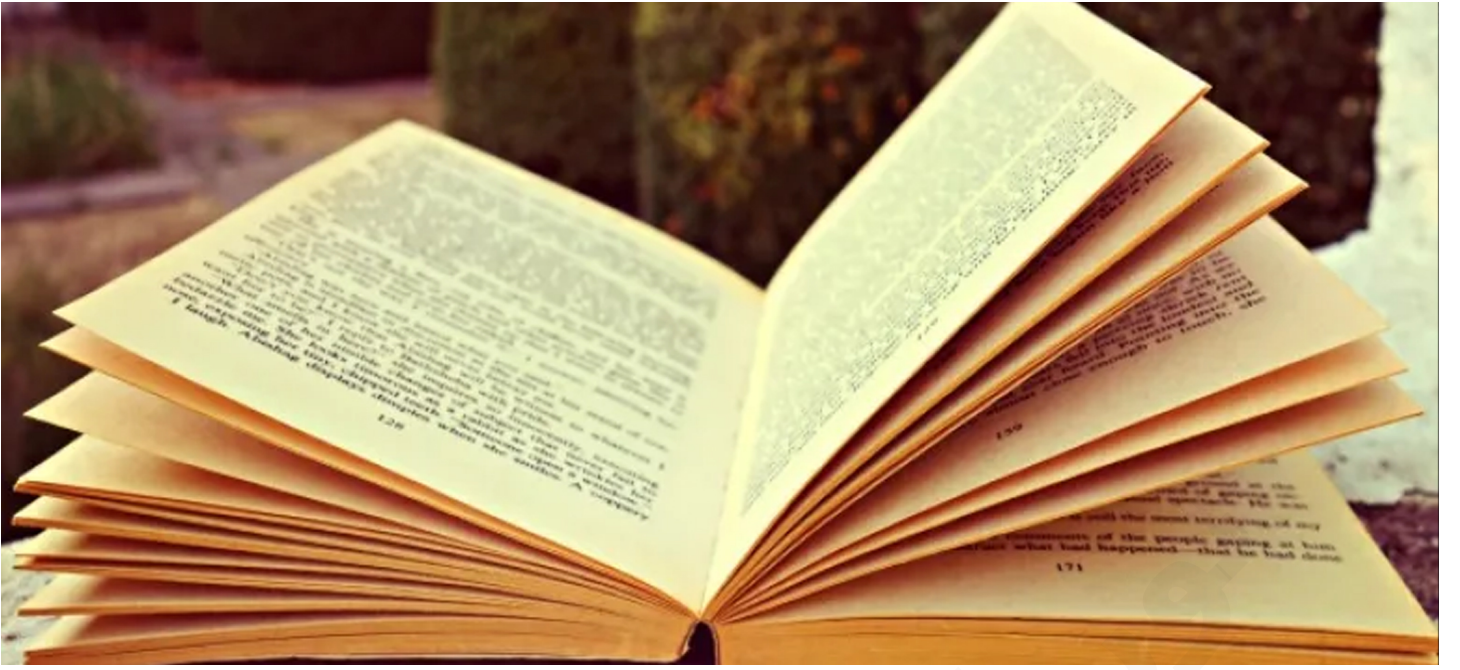




كيف نقرأ التاريخ - معركة اليرموك نموذجاً

سؤال و جواب

خطبة جمعة

2025-12-26

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عني كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومقرع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هدايتك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليماً كثيراً.

مقدمة:

وبعد أيها الإخوة الكرام: مما لا شك فيه أن قراءة التاريخ قراءة وإعيّة منصبة أمر مهم جداً، فالأمة التي تقرأ تاريخها تحسن كتابة حاضرها وتحسين استشراف مستقبلها، تقرأ تاريخها فتكتب حاضرها وتستطيع أن تستشرّف مستقبلها، بينما الأمة التي يغيب تاريخها عنها، فهي أمة غائبة في الحاضر ولا تمتلك رؤية متكاملة للمستقبل.

قراءة التاريخ على أنواع ثلاثة:

أيها الإخوة الكرام: لكن قراءة التاريخ على أنواع ثلاثة، فأني القراءات التي ينبغي أن يُقرأ التاريخ وفقها؟

القراءة الأولى قراءة الحمقى والمُغفلين:

القراءة الأولى سميتها قراءة الحمقى والمُغفلين، وهذه القراءة قراءة الحمقى، هدفها أن يستحضر القارئ خلافاً الماضي، ثم يبني عليها، ثم يتشاحن مع الآخرين بناءً عليها، وقد يصل الأمر إلى الاقتتال بسببها، هذه القراءة التي تستحضر خلافاً الماضي، وتسبب الدماء من أجلها، هذه قراءة يُملئها الأعداء، أعداء الدين أو أعداء الدين، وكلاهما خطر، أعداء الدين خطر وأدعيائهم الذين يدعون أنهم على دين خطر آخر، يُملئها الأعداء والأدعياء، ويقرأها الحمقى والمُغفلون، ثم تقوم الحروب من أجلها، وفي مثل هذه القراءة السيئة للتاريخ قال تعالى:

دماءً سالت في بلادنا وغيرها، وما تزال تسيل من أجل قراءة الحمقى، الذين يقرأون التاريخ لاستحضار الخلافات ولتكبيرها، ولنسج رواياتٍ خياليةٍ حولها، ثم الاقتتال من أجلها، هذه قراءة الحمقى والمغفلين.

القراءة الثانية قراءة المُحِبِّين:

أما القراءة الثانية فهي قراءة المُحِبِّين، وهي هروبٌ من الواقع الأليم، الواقع سيء، المسلمون مُستضعفون، ديارهم مُستباحة، بعض أراضيهم مُحتلة، لأعدائهم عليهم ألفٌ سبيلٌ وسبيل، فَيُحِبُّط البعض مما يرى فيترنم بالماضي، فيقرأ التاريخ هروباً من الواقع، وهذه قراءة الإحباط أيضاً لا تليق بالمؤمن، هدفها دغدغة العواطف، دعني أروي لك شيئاً من الماضي المجيد، دعني أوضح لك ما كان عليه سلفنا في معاركهم وفي بطولاتهم، وهذه القراءة أحياناً تكتنفها بعض المُبالغات غير المُثبتة في الكتب الصحيحة، هدفها دغدغة العواطف، وهذه قراءةٌ يَنْج عنها إحباطٌ أشدُّ، بحيث ينتهي القارئ فيقول: أين نحن من هؤلاء؟ ماذا نفعل؟ أين كانوا وأين صرنا؟! فينزوي على نفسه ويترك العمل، ويكتفي بالترنم بالأمجاد الماضية، هذه قراءة المُحِبِّين.

رواية التاريخ تتبع دائماً طريقة من يرويها والحالة السياسية الراهنة:

بالمناسبة أُنْها الإخوة الكرام: قبل أن آتي على القراءة الثالثة، التاريخ عندما يُعْرَض في كتبنا ومناهجنا، وحتى فيما يُعْرَض غالباً في الدراما والمسلسلات، فضلاً عن أنه مشوّء مزوّر في كثيرٍ منه، وفضلاً عن أنه يخدم أجندات، بمعنى أنه يُروى بطريقةٍ تُناسب من يريد أن يرويه، فما يُكتب من حقائق في بلاد الشام مثلاً عن العثمانيين في الفترة السابقة، خلال الأربعة عشر عاماً، يختلف عمّا كُتب قبل عشرين عاماً، يوم كان هناك تقاربٌ مع جارتنا الشمالية الصديق، كتب التاريخ بطريقةٍ مختلفة، فانتُخبَ أجمل ما فيه عن السلطنة العثمانية، وروى بطريقةٍ أقرب إلى الصحة من الطريقة الماضية، لمّا اقتتلت معهم الدولة في الفترة الماضية وليس الشعب، الشعوب مُتفاهمة، روت التاريخ رواياتٍ مُزوّرة، وشوّهت السلطنة العثمانية وجعلتها سلطنة نساء وخمور وغير ذلك، وتشوّب الجيل التاريخ خطأ.

فرواية التاريخ تتبع دائماً طريقة من يرويها، والحالة السياسية الراهنة، فمن أراد أن يقرأ التاريخ، فلا يستقيهِ من مُسلسلاتٍ موجهة، ولا من محطاتٍ أئمة، ولا من كُتبٍ من طرفي مُعَيّن كما في كُتب بعض الفرس ممن يروون تاريخ بني أمية، وإنما يقرؤه من مصادره الموثوقة، ومن علماء ثقات أقرب ما يكونون إلى التاريخ الحقيقي.

القراءة الثالثة قراءة المُعْتَبِرِينَ المُتَعَطِّين:

أُنْها الإخوة الكرام: القراءة الثالثة وهي القراءة التي تُريدها، هي قراءة المُعْتَبِرِينَ المُتَعَطِّين، نقرأ التاريخ لنستلهم منه الدروس والعبر، لا نقرأه لنتخلف، ولا نقرأه لنترنم، وإنما نقرأه لناخذ منه الدروس والعبر، وفي مثل هذه القراءة الواعية قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)

ثم انظروا إلى ختام الآية: (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) الصابط ألا يكون حديثاً يُفْتَرَى، عندما تقرأ تاريخ الأمم من كتاب الله تعالى، فهو موثوقٌ منه بالمنة (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) عندما تقرأ قصة يوسف عليه السلام، من كتاب الله تعالى ومما صحَّ من سُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إذا (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) فيمكن أن تأخذ العبر والدروس، لكن عندما تقرأ قصة يوسف عليه السلام من كُتب الإسرائيليات فقد يكون حديثاً يُفْتَرَى، وقد يُنال من أنبياء الله في الكتب، وقد تُنحَدَّث عن أشياء عن أنبياء الله لا نقلها اليوم على مسلمٍ في هذا العصر، يُتهم بها الأنبياء، فالصابط (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى)، (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) هذه هي النقطة الجوهرية في قراءة التاريخ.

أُنْها الإخوة الكرام: هذه القراءة قراءة المُعْتَبِرِينَ المُتَعَطِّين بالتاريخ، يقرؤها المؤمن، يقرؤها العاقل، فيعي التاريخ جيداً، يفهم الحاضر، يستشرف المستقبل بشكلٍ صحيح.

المنتصر في المعارك هو من يكتُب التاريخ:

بالمناسبة أُنْها الإخوة الكرام: وهذه أيضاً نقطةٌ مهمةٌ جداً في قراءة التاريخ وفي مناهجنا، أنَّ التاريخ دائماً وغالباً إن لم أقل دائماً، يكتبه المنتصرون، المنتصر في المعارك هو من يكتُب التاريخ، وكان أملاً بالله وما زال، أنَّ الله لا يُسلط علينا أعداءه إلى ما لا نهاية، لكن لنستحضر نعمة الله علينا، هَبَّ أنَّ الحزب البائد والنظام الفاجر، قد انتصروا وعادوا إلى المجتمع الدولي، وعادوا إلى المناهج، وعادوا إلى كل شيء، كيف كانوا سيكتبون الأربعة عشر سنة التي خَلَتْ؟ بروايتهم، نحن شهدناها سنعلم مواطن الضعف والخلل عندنا، وسنعلم إجرامهم غير المُتناهية، لكن لو كتبوا التاريخ هم، كان أحفادنا سيقروون فعلاً أنَّ ثَلَّةً من الإرهابيين وإجهوا دولتهم العتيدة، القائمة بأمر الله، الحاكمة بشرع الله، وقاموا صدها، وأنَّ الله تعالى قدَّر هلاكهم والقضاء عليهم، وعادت سورية لمجدها التليد، سيقرا أحفادنا التاريخ مُزوّراً لأنَّ التاريخ يكتبه المُنتصر.

أما عندما يكون المُنتصر صاحب مبدأ، فيكتب التاريخ بحذايره، لا يُقصي فئة ولا يُظهر بطولته في غير موضعها، ولا يُبين شيئاً لم يكن، ولا يُخفي شيئاً، يُظهر كل الأشياء، يُظهر الحقيقة كاملةً، عندها يُكتب التاريخ صحيحاً.

التاريخ كلُّه متكامل لا ينفصل:

أُنْها الإخوة الكرام: الأمر الآخر، اليوم في مدارسنا وفي مناهجنا، التاريخ للأسف وهذه نقطةٌ مهمةٌ يجب أن تصل إلى أولي الأمر في كتابة التاريخ، التاريخ اليوم يُكتب تاريخاً سياسياً فقط، فإذا فتحت لتقرأ عن الدولة الأموية، لم تجد فيها إلا صراعاً على النفوذ، وما داخل القصر، وما الذي جرى بين الخليفة الفُلاني والفُلاني، وكذلك العباسية وكذلك العثمانية، تجد التاريخ مكتوباً بروحٍ سياسيةٍ بحتة، رغم أنَّ التاريخ هو الحضارة.

تاريخ الأمويين مثلاً هو المسجد الأموي، هو الدواوين، هو المشافي، هو التأمين الصحي الذي شمل الجميع، هو الجُرن الذي وضع في المسجد الأموي، حتى كاد يوضع به المال فلا يقتل أحد لأنه لم يبق فقير، هو الحضارة، هو القيم التي عاشها الناس، هو التآلف المجتمعي، هو الخلو من الجريمة، هو المساجد التي امتلأت بطلبة العلم، هي المؤلفات التي انتشرت، هو العلم الذي ذاع صيته وبلغ الآفاق، هم طلاب العلم الذين أصبحوا يأتون من أطراف الدنيا إلى دمشق، هذا هو التاريخ، فإذا فتحت الكتاب المدرسي تقرأ الخليفة الفُلاني، ثم جاء فلان وتناوبا على الحكم، وهذا قتل هذا، وهذا أراد من هذا، وهذا كان ينظر كيف يأخذ حكم هذا، هذه الزوجة وتلك الجارية، تقرأ سياسة لا تقرأ تاريخاً، التاريخ كلُّه متكامل لا ينفصل.

معركة اليرموك أهم معركة في تاريخ المسلمين:

أيها الإخوة الكرام: نموذج: نحن اليوم في الخامس أو السادس من رجب، في السنة الخامسة للهجرة، قبل أكثر من ألفي وأربعمئة سنة، وفي الخامس من رجب في مثل هذه الأيام، كانت معركة اليرموك على الحدود السورية الأردنية اليوم، في سهل حوران في حوض اليرموك، هذه المعركة انطلقت فيها جيش المسلمين بقيادة سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه، إلى أرض الشام لقتال الروم، ومعركة اليرموك هي أهم معركة في تاريخ المسلمين، بل تُصنّف عالمياً بأنها من أهم المعارك في التاريخ كله، لأنها كانت أول معركة يخرج بها المسلمون خارج الجزيرة العربية، ويكتب لهم فيها نصرٌ مُبين.

كان جيش المسلمين بحدود أربعين ألفاً، بينما جمع المشركون وجمع الروم والبيزنطيون ومن معهم، ما يُقارب ربع مليون شخص لحرب المسلمين، واجتمع الجيشان على ثرى هذه الأرض المباركة، أرض الشام الطيبة، وقامت معركة امتدّت لسنة أيامٍ، وانتهت بنصرٍ عظيمٍ مؤزّرٍ للمسلمين نعيش اليوم ببركته، بعد تقاعسيّ دام أكثر من ألف سنة نعيش اليوم ببركة هذا النصر.

فتحن في بلاد الشام نعيش ببركة نصر معركة اليرموك، وتُقيم الصلوات ونعتلي المنابر، ولكل ركعة نُصلّيها، أو حُطية نُلقِيها حسنةً في صحائف أبي بكرٍ وعُمر وخالد وأبي عبيدة بن الجراح، وكل جنديّ شارك في هذه المعركة، هذه المعركة أحداثها معروفة ومتشعبة، لكن لها دروساً وعبراً حتى نقرأ التاريخ كما ينبغي أن يُقرأ، الدرس الأول في كل معارك المسلمين وفي معركة اليرموك: أنَّ النصر لا يكون إلا من عند الله، النصر مفهومٌ شرعي وهو بالتالي مرتبطٌ بالشرعية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۖ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126)

لا يأتي النصر لا من شرق الأرض ولا من غربها، لا من دول التحالف ولا من عدم التحالف، لا من الأمم المتحدة ولا من مجلس الأمن، النصر يأتي من الله، ورأينا كيف منَّ الله تعالى على بلادنا، بهذا النصر الذي أزيحت به قوى الطغيان والطائفية الحاقدة المقيتة، النصر من الله وحده.

شروط النصر:
أولاً: أن ننصر الله تعالى:
شروطه: أولاً أن نصر الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُزِيدْ أَقْدَامَكُمْ (7)

(سورة محمد)

الجزء من جنس العمل، ننصر الله بطاعته فننصرنا بقهر أعدائنا، وينصرنا بتمكيننا في بلدنا، وينصرنا ببناء بلدنا، كل واحدٍ ممّا مطلوب منه أن ينصر الله، قبل أن تقول: ينصرني الله، قل: هل نصرّ الله؟ قبل أن تقول: هل يذكرني الله؟ قل: هل أذكر الله؟ نحن عباد، والعبد ينظر فيما هو مطلوب منه، ولا يسأل عن ما هو من شأن سيده، نحن مطلوبٌ ممّا أن ننصر الله، فإذا لقيناه وقد نصرناه فلا علينا بعد ذلك، "إِذَا أَدَبْتِ مَا عَلَيْكَ فَلَا عَلَيْكَ" النتائج من عند الله تعالى، ننصره بطاعته.

ثانياً: أن يُعِدَّ العُدَّة:
الشرط الثاني للنصر أن يُعِدَّ العُدَّة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِبُوا مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)

(سورة الأنفال)

أعدّ أبو بكرٍ قبل وفاته، وعُمر رضي الله عنه بعد توليه الحكم لليرموك، وخالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسن، وغيرهم كثير، أعدوا العُدَّة المُتاحة، وجمعوا كل الجيوش وهذا شأننا أربعون ألفاً، فنصرهم الله لأنهم أعدوا العُدَّة.

ثالثاً: أن تُمَنَّ جبهتنا الداخلية:

الشرط الثالث المهم جداً: أن تُمتنَّ جيهتنا الداخلية، قلت لكم سابقاً وأقولها الآن: المعركة لمَّا تنتهي، لا تضعوا أسلحتكم، ما زالت قوى الشر من شرقي وغرب، وعلى رأسها الصهاينة المعتدون يتربصون ببلادنا وبلاد المسلمين، ونحن كلُّ متكامل لا يقتل التجزئة، وأرضنا مُغتصبة.

أن تُمتنَّ جيهتنا الداخلية، التعليم الشرعي تمتلئ للجهة الداخلية، نصر الضعفاء والفقراء تمتلئ للجهة الداخلية، قال صلى الله عليه وسلم:

{ رَأَى سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ لَهُ قَصْلاً عَلَى مَنْ دُوَّتْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُزْرَقُونَ إِلَّا بَصُغَائِكُمْ؟! }

(صحيح البخاري)

هذا الضعيف إن دعمناه، وأطعمناه، وعالجناه، وكسيناه، سيُكافئنا الله تعالى إن شاء بنصرٍ من عنده، فينصرنا على مَنْ هو أقوى منا ومن الضعيف.

لا ينبغي أن تتعلق القلوب إلا بالله تعالى وحده:

أيُّها الإخوة الكرام: الأمر الثاني لا ينبغي أن تتعلق القلوب إلا بالله تعالى وحده، نحن لا تتعلق بالأشخاص تتعلق بالله فقط، لذلك لمَّا توفي سيدنا أبو بكر والجيش في أرض الشام بإمرة خالد بن الوليد، كان أول أمرٍ عسكري قام به عُمر رضي الله عنه، أنه عزَّل خالد بن الوليد من القيادة وأمَّرَ أبا عُبَيْدَةَ بن الجراح، كانت الخطوة مفاجئة جداً في العلم العسكري، المعركة على الأبواب وسيدنا عُمر يُرسل كتاباً إلى أبي عُبَيْدَةَ، إذا جاءك كتابي فأبلغ خالداً أنَّي قد عزلته وتولى أنت قيادة الجيش، ويُبلغه بوفاة أبي بكر رضي الله عنه في هذه الرسالة.

مفاجأة كبيرة جداً أن يُعزِّر القائد قبل أيام من بدء المعركة، لماذا عزله؟ قُلْ إن شئت وهذا واضح في كثير من النصوص، أنَّ قيادة سيدنا أبي بكر غير قيادة سيدنا عُمر، كل واحدٍ منهما له نظرية في القيادة، وهذا تنوع غني، سيدنا أبو بكر يؤمن في القيادة بنظرية أنك تُكلف إنساناً بمهمةٍ وتترك له العمل والخيارات، هذا موجودٌ في الشركات اليوم، مدير يقول لك: أنا كلفت فلاناً، وثقت به، أعطيه صلاحيات واسعة، لاسيما مع بُعد الاتصالات، ليس هناك جوال ليتصل به ويقول له: ماذا أفعل؟ أنت قائد الجيش، ورَّع الغنائم، تصرف كما شئت، هذه نظرية سيدنا أبو بكر في القيادة.

أما نظرية سيدنا عُمر مختلفة ومعروفة في حكمه، يعني إن شئت سمَّها المركزية، يُحب أن يكون القرار عنده، وهذا موجودٌ أيضاً في نظريات القيادة، فلا تفعل شيئاً حتى تُخبرني ولو كنت قائداً، تواصل معي، نظريتان، سيدنا خالد كان مع سيدنا أبي بكر كما يُحب أبو بكر، سيدنا عُمر أراد أن يُعزِّر القائد، لكن مما هو أكثر صحةً من غيره بكثير، أنَّ سيدنا عُمر في الأساس عزَّل خالداً انتصاراً للتوحيد، لأنَّ الناس صاروا يقولون: إنما تُنصر بخالد، يقول ابن كثير: "ما خاض خالد بن الوليد معركةً في جاهليَّة ولا في إسلام إلا انتصر فيها"، فصار الناس يتعلقون بالأشخاص، فأراد عُمر أن لا يُفتتنوا بخالد في هذه اللحظة الحاسمة، لأنه يُدرك أنَّ تعلق القلوب بالله هو الشرط الرئيسي للنصر، بل الشرط الرئيسي لدخول الجنة التي هي أهم نصٍّ فقال له: "ما عزلتك لسخطي ولا عزلتك لخيانة، ولكن الناس قُتِلوا بك، فأردت أن يعلموا أنَّ الله هو الصانع انتصاراً للتوحيد" هذا الأساس في العزل.

ما الذي حصل بعد ذلك؟ هل أخذ خالد بن الوليد جزءاً من الجيش وقال سأعمل وحدي؟! هل قال كيف يعزلني وأنا خالد بن الوليد سيف الله المسلول؟ ولا كلمة، انضمَّ تحت إمرة أبو عبيدة فوراً، وقا تل واستبسل حتى حقَّق النصر مع أبي عُبَيْدَةَ وغيره.

صنعي في الموضع الذي تريد، أنا جاهز لخدمة الإسلام، لا يهمني المناصب المنصب تكليفٌ وليس تشريفاً، صنعي حيث شئت وسأكون كما يُحب الله ورسوله، هل هذه أخلاقنا اليوم؟ صنعي حيث تريد؟ أنا خادمٌ لدين الله تعالى، هكذا كان خالد رضي الله عنه وأرضاه.

العبرة أن نُؤدِّي ما نحن فيه في أي موقع كنَّا:

أيُّها الإخوة الكرام: من لا يقتل أن يعمل إلا إذا أخذ منصباً، أو وضع في صدر المجلس، أو نظر إليه الناس نظرة احترامٍ وتقدير، هذا لا يعمل لوجه الله تعالى، هذا يعمل لنفسه، أمَّا الذي يقتل أن يعمل في أي موضعٍ فهو يعمل لله.

العبرة أن نُؤدِّي ما نحن فيه في أي موقع كنَّا، قد يكون موظفٌ في شركةٍ، مُستخدمٌ يُنظِّف الشركة خيراً من مدير الشركة، إذا كان يؤدِّي المهمة التي أوكلت به، قد يكون خادم المسجد أعلى وأقدر وأفضل قدراً عند الله وعند الناس ممن يتعلَّى المنبر ويُلقِي الخطبة، إذا كان مخلصاً في عمله، وكان الصاعد على المنبر نسأل الله العافية غير مخلصٍ في عمله، فالعبرة في الإخلاص وليست في العمل أو مكان العمل.

{ أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَوْ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ }

دُلُونِي عَلَى قَبْرِهِ - أَوْ قَالَ قَبْرَهَا - فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا }

(صحيح البخاري)

استثناءً من الحُكم العام، من أجل أن يُعلم الناس جميعاً أنَّ هذه المرأة لها مكانتها مهما كانت المهمة التي تقوم بها.

الإنسان أينما وضع يجب أن يعمل لله:

أيُّها الإخوة الكرام: اسمعوا لهذا الحديث وبه أختم، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ تَعِيسَ عَبْدُ الدَّيْبَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْحَمِيصَةِ، إِنَّ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِيسَ وَاتَّكَسَ، وَإِذَا شَيْبَكَ فَلَا اتَّقَشَّ، طَوْنِي لَعِنِي أَخِي }

بِعَنَانٍ قَرَسِيهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَّتْ رَأْسُهُ، مُعَبَّرَةٌ قَدَمَاهُ، إِنَّ كَانَ فِي الْجَزَاسَةِ، كَانَ فِي الْجَزَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنَّ

اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَقَّ لَمْ يُشَقَّ }

(صحيح البخاري)

عبد المال تعيس هُتِّمَ المال تعيس (تعيس عبد الخميصة) عبد ثيابه، من أي ماركة (تعيس عبد الخميصة) يعبد ثيابه (إِنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطَ)، يُعْطِيهِ فيرضى، تمنع عنه فيسخط (تعيس وانكس وإذا شيك فلا انتقش)، (شيك) أي أصابته شوكة (فلا انتقش) أي لا وجد من يزيل له الشوكة بالينقاش، أي بملقط الشوكة اليوم (وإذا شيك فلا انتقش) ليس له قيمة لأنه عبد شهوته.

ثم يقول صلى الله عليه وسلم وهُنا موطن الشاهد: (طَوْبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعَنَانٍ قَرَسِيهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَّتْ رَأْسُهُ) في المعركة لا يجد ما يُمَسِّطُ به شعره (أَشَعَّتْ رَأْسُهُ، مُعَبَّرَةٌ قَدَمَاهُ، إِنَّ كَانَ فِي الْجَزَاسَةِ، كَانَ فِي الْجَزَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ) السَّاقَةُ مؤخَّرَةُ الجيش، أي وضعوه في مؤخَّرَةِ الجيش ليحمي الجيش، لا أحد يراه (إِنْ كَانَ فِي الْجَزَاسَةِ، كَانَ فِي الْجَزَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ) لا يُبَالِي، صنعني حيث أردت المهم أني أعمل لله (إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَقَّ لَمْ يُشَقَّ) إذا قيل فلان يريد أن يدخل على الخليفة قال: لا تُدْخِلُوهُ، وإذا قال: جئت أشفع، لم يُشَفَّعْ لأنه لا قيمة له كبيرة عند الناس لِشَفْعِهِ، ينظرون إلى أصحاب الوجاهات، هذا الذي نريده، الرُّجُلُ الذي إن كان في الحراسة في الحراسة، وإن كان في السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، وإن كان في القيادة في القيادة، جُنْدِي جُنْدِي، اليوم كثير من الدورات الحديثة عنوانها "صناعة القائد"، تمتب مرةً لو يُجرون دورةً بعنوان "صناعة الجُنْدِي".

أيها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبُوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزنَ عليكم، واعلموا أنَّ مَلَكَ الموت قد تخطَّنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لِقَا بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان، واستغفروا الله.

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ولا تُهلكنا بالسنين، ولا تُعاملنا بفعل المُسِيئين.

اللهم اسقنا الغيث واجعلنا من الشاكرين الحامدين.

اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين.

اللهم من أراد بالإسلام ودياره وأهله خيراً فوقَّقه لكل خير، ومن أراد بهم غير ذلك فخذهُ أخذ عزيزٍ مُقْتَدِرٍ، واجعله عبرة لمن يعتبر.

اللهم أهلنا في فلسطين، أهلنا في عِزَّة، أهلنا في السودان، أهلنا في كل مكانٍ يُذَكَّر فيه اسمك يا الله، كُن لهم عوناً ومُعِيناً، وناصرراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.

اللهم عليك بأعدائهم فإنهم لا يُعجزونك.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وما قَرَّبَ إليها من قولٍ وعملٍ، ونعوذ بك من النار وما قَرَّبَ إليها من قولٍ وعملٍ، وَفَّقِ القَائِمِينَ على بلادنا لما فيه الخير وللعمل بكتابك وبسُنَّة نبيك صلى الله عليه وسلم، والحمد لله ربِّ العالمين.